

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يَقْدَمُ

(الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ)

مِنْ مَادَّةِ

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ

www.menhag-un.com

بَيَانُ أَصْلِ التَّدَبُّرِ

فَأَصْلُ التَّدَبُّرِ: التَّأَمُّلُ فِي أَدْبَارِ الْأُمُورِ وَعَوَاقِبِهَا، ثُمَّ اسْتِعْمَلُ فِي كُلِّ تَأَمُّلٍ؛ سَوَاءً كَانَ نَظْرًا فِي حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَأَجْزَائِهِ، أَوْ سَوَابِقِهِ وَأَسْبَابِهِ، أَوْ لَوَاحِقِهِ وَأَعْقَابِهِ.

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَعْنَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ: «هُوَ التَّأَمُّلُ فِي مَعَانِيهِ، وَتَحْدِيقُ الْفِكْرِ فِيهِ، وَفِي مَبَادِئِهِ، وَعَوَاقِبِهِ، وَلَوَازِمِ ذَلِكَ».

الْخُلَاصَةُ فِي مَعْنَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ:

وَالْخُلَاصَةُ فِي مَعْنَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ: أَنَّهُ تَفْهَمُ مَعَانِي أَلْفَاظِهِ، وَالتَّفَكُّرُ فِيمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ آيَاتُهُ؛ مُطَابَقَةً أَوْ ضِمْنًا، وَمَا لَا تَتِمُّ تِلْكَ الْمَعَانِي إِلَّا بِهِ مِنَ الْإِشَارَاتِ وَالتَّنْبِيهَاتِ، وَاتِّفَاعِ الْقَلْبِ بِذَلِكَ؛ بِخُشُوعِهِ عِنْدَ مَوَاعِظِهِ، وَخُضُوعِهِ لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَأَخْذِ الْعِبْرَةِ مِنْهُ.

بَيَانُ أَهَمِّيَّةِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ:

وَتَبَرَّرُ أَهَمِّيَّةَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، فِي مُقَدِّمَتِهَا: أَنَّ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ، وَتَفْهَمَ عُلُومِهِ مِنَ النَّصْحِ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَهْلُ الْعِلْمِ، وَمِنْهُمْ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: «وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ؛ فَشِدَّةُ حُبِّهِ، وَتَعْظِيمُ قَدْرِهِ - إِذْ هُوَ كَلَامُ الْخَالِقِ -، وَشِدَّةُ الرَّغْبَةِ فِي فَهْمِهِ، وَشِدَّةُ الْعِنَايَةِ بِتَذَكُّرِهِ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ؛ لَطَلَبُ مَعَانِي مَا أَحَبَّ مَوْلَاهُ أَنْ يَفْهَمَهُ عَنْهُ، وَيَقُومَ بِهِ لَهُ بَعْدَ مَا يَفْهَمُهُ، وَكَذَلِكَ النَّاصِحُ مِنَ الْعِبَادِ يَتَفَهَّمُ وَصِيَّةَ مَنْ يَنْصَحُهُ، وَإِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْهُ؛ عُنِيَ بِفَهْمِهِ؛ لِيَقُومَ عَلَيْهِ بِمَا كَتَبَ بِهِ فِيهِ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ النَّاصِحُ لِكِتَابِ رَبِّهِ، يُعْنَى بِفَهْمِهِ؛ لِيَقُومَ لِلَّهِ بِمَا أَمَرَ بِهِ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، ثُمَّ يَنْشُرُ مَا فَهَمَ فِي الْعِبَادِ، وَيُؤَدِّمُ دِرَاسَتَهُ بِالْمَحَبَّةِ لَهُ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ، وَالتَّادُّبِ بِآدَابِهِ».

جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

المَقْصُودُ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ

لَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمَقْصُودَ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، الَّذِي هُوَ الْعَمَلُ بِهِ، وَالِاتِّزَامُ بِتَوَجِيهَاتِهِ وَإِرْشَادَاتِهِ.

وَهَذِهِ الْأَوَامِرُ لَا يُمَكِّنُ تَحْصِيلُهَا بِدُونِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي مَعَانِيهِ؛ لِذَلِكَ فَإِنَّ قِرَاءَةَ خَتْمَةٍ بِتَدَبُّرٍ وَتَفَكُّرٍ خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَةِ عِدَّةٍ مِنَ الْخَتَمَاتِ بِدُونِ هَذَا التَّدَبُّرِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِيَتَدَبَّرُوا حُجَجَ اللَّهِ الَّتِي فِيهِ، وَمَا شَرَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الشَّرَائِعِ، فَيَتَعَبَّطُوا وَيَعْمَلُوا بِهِ».

وَقَالَ الشُّوكَانِيُّ: «وَالْمَعْنَى: كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ».

﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ أَي: كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ.



مِنْ بَرَكَاتِ الْقُرْآنِ

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقُرْآنَ تَكْمُنُ بَرَكَتُهُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا: كَثْرَةُ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَتَنَوُّعُ مَوَاعِظِهِ وَزَوَاجِرِهِ، وَتَعَدُّدُ تَرْغِيبَاتِهِ وَتَرْهِيبَاتِهِ.

وَمِنْ بَرَكَاتِ الْقُرْآنِ: زِيَادَةُ حَسَنَاتِ الْعَبْدِ، وَكَذَلِكَ فِي رِفْعَةِ مَقَامِهِ، وَفِي جَلْبِ السَّعَادَةِ لَهُ فِي الدَّارَيْنِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ يَتَذَكَّرُ الْقُرْآنَ؛ يَحْصُلُ لَهُ تِلْكَ الْبَرَكَاتُ وَزِيَادَةُ.

وَقَالَ السِّيُوطِيُّ: «تُسَنُّ الْقِرَاءَةُ بِالتَّذَكُّرِ وَالْفَهْمِ؛ فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، وَالْمَطْلُوبُ الْأَهَمُّ».

فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مُجَرَّدَ التَّلَاوَةِ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ مِنْهَاجًا لِلْعَمَلِ، وَهَادِيًا لِلسُّلُوكِ؛ لِأَنَّ مَنْ تَذَكَّرَ كَلَامَ اللَّهِ؛ كَانَ ذَلِكَ دَافِعًا لَهُ لِلْعَمَلِ.

وَمِنْ أَحْسَنِ الْعَمَلِ: أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُتَوَفِّرًا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِفَهْمِ الْمُرَادِ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ.

فَمَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلِ؛ نَالَ الْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَفِي الدُّنْيَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَيُحِبُّهُ النَّاسُ، وَتَرْتَفِعُ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُمْ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي الْآخِرَةِ لَهُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى.

عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالْإِمْرَانِ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيَتْهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظِلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ فِيهِمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

بُدُونِ الْعَمَلِ يُصْبِحُ الْعِلْمُ وَبَالًا عَلَى صَاحِبِهِ، فَمَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَمَا اسْتَوْعَبَهُ الذِّهْنُ يَزْدَادُ رُسُوخًا وَمَضَاءً إِذَا صَدَقَتْهُ الْأَفْعَالُ السُّلُوكِيَّةُ.

وَمَا مِنْ شَيْءٍ فِي أَنَّ الْعَمَلَ بِالْعِلْمِ يُقَرِّرُهُ فِي النَّفْسِ أَبْلَغَ تَقْرِيرٍ، وَيَنْقُشُهُ فِي صَحِيفَةِ الْفِكْرِ أَثْبَتَ نَقْشٍ، عَلَى نَحْوِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي فنِّ التَّرْبِيَةِ وَعِلْمِ النَّفْسِ؛ مِنْ أَنَّ التَّطْبِيقَ يُؤَيِّدُ الْمَعَارِفَ، وَالْأَمْثَلَةُ تُقَيِّدُ الْقَوَاعِدَ، وَلَا تَطْبِيقَ أَبْلَغُ مِنَ الْعَمَلِ، وَلَا مِثَالٍ أَمْثَلُ مِنَ الْإِتْبَاعِ؛ خُصُوصًا الْمَعَارِفَ الدِّينِيَّةَ، فَإِنَّهَا تَزْكُوا بِتَنْفِيزِهَا، وَتَزِيدُ بِاتِّبَاعِهَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

أَيُّ: هِدَايَةً وَنُورًا تَفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الرُّشْدِ وَالْغَيِّ؛ لِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِلْمُ التَّدَبُّرِ دَافِعًا لِلْعَمَلِ الْمُثْمِرِ، الَّذِي يَجْلِبُ لِصَاحِبِهِ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يَكُونَ النَّظَرُ فِي الْحُرُوفِ وَالْكَلِمَاتِ وَالآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ لَيْسَ مِنْ أَجْلِ التَّأَمُّلِ فِي جَمَالِ الْخَطِّ وَوُضُوحِهِ، وَإِنَّمَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ نَبْرَاسًا لِلْعَمَلِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.

وَقَدْ ذَكَرَ الْعَلَامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا يُؤَكِّدُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيَّنَّ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ أَنْزَالِ هَذَا الْقُرْآنِ الْمُبَارَكِ: أَنْ يَتَدَبَّرَ النَّاسُ آيَاتِهِ، وَيَتَعَطَّوْا بِمَا فِيهَا».

وَالْتَدَبُّرُ: هُوَ التَّأَمُّلُ فِي الْأَلْفَافِ لِلْوُصُولِ إِلَى مَعَانِيهَا، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ؛ فَاتَتْ الْحِكْمَةُ مِنْ أَنْزَالِ الْقُرْآنِ، وَصَارَ مُجَرَّدَ أَلْفَافٍ لَا تَأْثِيرَ لَهَا، وَلِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ الْإِتِّعَاطُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ بِدُونِ فَهْمِ مَعَانِيهِ.

وَمِنْ عَجَبٍ: أَنَّكَ تَجِدُ الصَّنَاعَ -حَتَّى مِنْ الْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ لَا أَثَارَةَ مِنَ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ!!- يَعْلَمُونَ أَنَّ الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ؛ فَتَجِدُ النَّجَّارَ إِنَّمَا يَتَعَلَّمُ النَّجَارَةَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصْنَعَ الْأَثَاثَ وَمَا أَشْبَهَ، لَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ تَرْفًا عَقْلِيًّا، وَمَتَاعًا ذَهْنِيًّا.

وَكَذَلِكَ الْحَدَّادُ، إِنَّمَا يَتَعَلَّمُ الْحِدَادَةَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَثْمِرَهَا لِلْعَمَلِ بِهَا، وَتَحْصِيلِ الرِّزْقِ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ.

فَهُؤُلَاءِ مِمَّنْ لَا حَظَّ لَهُمْ فِي الْعِلْمِ وَلَا مُشَارَكَةٍ؛ إِنَّمَا يَعْلَمُونَ بِفِطْرَتِهِمْ
السَّوِيَّةِ أَنَّ الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّمُونَ مَا يَتَعَلَّمُونَ مِنْ أَصُولٍ حَرَفِهِمْ مِنْ أَجْلِ
أَنْ يُحَوِّلُوهُ إِلَى عَمَلٍ مُثْمِرٍ مُنْتِجٍ مُفِيدٍ.

وَلَكِنَّكَ تَجِدُ طُلَّابَ الْعِلْمِ فِي الْمُقَابِلِ لَا يُرْتَّبُونَ الْعَمَلَ عَلَى الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا
يَتَعَلَّمُونَ، وَيَسْتَكْثِرُونَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْحِفْظِ، ثُمَّ لَا يُثْمِرُ هَذَا عِنْدَهُمْ شَيْئًا؛
فَيَنْحَطُّونَ فِي الدَّرَجَةِ دُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُشَارِكُونَ فِي الْعِلْمِ أَصْلًا، وَلَكِنْ وَقَرَّ
فِي قُلُوبِهِمْ، وَاسْتَقَرَّ فِي أَعْمَاقِهِمْ أَنَّ الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ، فَهُمْ يَتَعَلَّمُونَ مِنْ أَجْلِ أَنْ
يُرْتَّبُوا عَلَى هَذَا الْعِلْمِ عَمَلًا، وَطُلَّابُ الْعِلْمِ فِي الْمُقَابِلِ مَاذَا أَثْمَرَ الْعِلْمُ
عِنْدَهُمْ؟! اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

أَهْمِيَّةُ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ تَبَرُّزُ وَتَظْهَرُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَكُلُّ أَمْرٍ مِنْهَا كَافٍ لِكُنْيِ
يَكُونُ دَاعِيًا إِلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَالتَّأَمُّلِ فِي مَعَانِيهِ، وَالتَّأَثُّرِ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ.

وَمِنْ هَذِهِ - كَمَا مَرَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ -: بَرَكَةُ الْقُرْآنِ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابَهُ الْعَزِيزَ بِأَوْصَافٍ عَظِيمَةٍ، مِنْهَا: أَنَّهُ كِتَابٌ عَزِيزٌ
مُبَارَكٌ، وَأَنَّهُ نُورٌ وَفُرْقَانٌ، وَرَحْمَةٌ وَبُرْهَانٌ، وَبَصَائِرُ وَشِفَاءٌ، وَهُدًى وَبُشْرَى.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الأعراف:

وَكَثِيرًا مَّا يَقْرُنُ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأَوْصَافَ بِالْحَثِّ عَلَى التَّذَكُّرِ، وَالْإِعْتِبَارِ،
وَالْتَذَكُّرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو
الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وَالْمَعْنَى: كِتَابٌ كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ.

وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ
عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وَقَدْ بَيَّنَّ الْأَجْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَرَكَةَ الْقُرْآنِ عَلَى الْعَبْدِ الَّذِي أَقْبَلَ عَلَى كِتَابِ رَبِّهِ
بَأَدَبٍ وَاعْتِبَارٍ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ تَلَا الْقُرْآنَ، وَأَرَادَ بِهِ مُتَاجَرَةً مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ؛ فَإِنَّهُ
يُرْبِحُهُ الرِّبْحَ الَّذِي لَا بَعْدَهُ رِبْحٌ، وَيَعْرِفُهُ بَرَكَةُ الْمُتَاجَرَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٣٩﴾ لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

وَبَيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ أَثَرَ بَرَكَةِ الْقُرْآنِ، وَقُوَّةَ تَأْثِيرِهِ، وَتَمَيَّزَهُ عَنْ بَاقِي مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَمِنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ؛ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

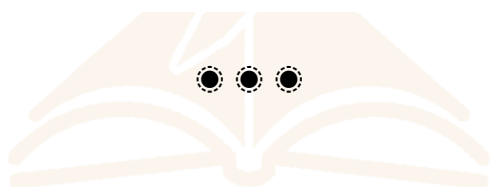
فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ بَرَكَةَ الْقُرْآنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَتَأَثَّرُ بِهِ، فَقَالَ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَأَلَّا تُرْجَى: طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْتَّمَرَةِ: طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَلَا رِيحَ لَهَا». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَمُسْلِمٌ، وَغَيْرُهُمَا.

وَمِنْ بَرَكَاتِ الْقُرْآنِ: أَنْوَاعُ هِدَايَتِهِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «(أَقْوَمُ) أَيُّ: أَكْرَمُ، وَأَنْفَسُ، وَأَصْلَحُ، وَأَكْمَلُ اسْتِقَامَةً، وَأَعْظَمُ قِيَامًا وَصَلَاحًا لِلْأُمُورِ».

أَمَامَ هَذِهِ الْفَضَائِلِ قَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مُوجِّهًا حَامِلَ الْقُرْآنِ لِشُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ الْمُبَارَكَةِ عَلَيْهِ: «أَنْ يَعْتَقِدَ -يَعْنِي: حَامِلَ الْقُرْآنِ- جَزِيلَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ إِذْ أَهْلُهُ لِحْفَظِ كِتَابِهِ، وَيَسْتَصْغِرُ عَرْضَ الدُّنْيَا أَجْمَعَ فِي جَنْبِ مَا حَوَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَيَجْتَهِدَ فِي شُكْرِهِ».

فَهَذَا كُلُّهُ كَافٍ فِي أَنْ يَكُونَ دَاعِيًا إِلَى تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ
 عَلَى أَهَمِّيَّةِ تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ مَا فِيهِ مِنَ الْبَرَكَةِ الَّتِي لَا تُحْصَلُ إِلَّا بِالْإِقْبَالِ
 عَلَيْهِ، وَالتَّوَفُّرِ عَلَى فَهْمِ مَعَانِي أَلْفَاظِهِ وَمَرَامِيهِ فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، وَالْمَوَاعِظِ
 وَالزَّوَاجِرِ، وَمَا قَصَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، وَعَنِ الْمُكْذِبِينَ،
 وَالطَّائِعِينَ الْمُؤْمِنِينَ.



جامعة

مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

الْقَلْبُ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

وَالْقَلْبُ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ؛ فَفِي الْقَلْبِ حَاجَةٌ لَا يَسُدُّهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ، وَالتَّلَذُّذُ بِكَرِيمِ خَطَابِهِ، وَإِنَّ فِيهِ وَحْشَةً لَا يُزِيلُهَا إِلَّا الْأُنْسُ بِكِتَابِهِ، وَإِنَّ فِي الْقَلْبِ قَلَقًا وَخَوْفًا لَا يُؤْمِنُهُ إِلَّا السُّكُونُ إِلَى مَا بَشَّرَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَإِنَّ فِيهِ فَاقَةً لَا يُغْنِيهَا إِلَّا التَّزَوُّدُ مِنْ حِكْمِ الْقُرْآنِ وَأَحْكَامِهِ، وَإِنَّهُ لَعَلَى حَيْرَةٍ وَاضْطِرَابٍ لَا يُنَجِّيهِ مِنْهَا وَيَهْدِيهِ إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِلَّا الْإِهْتِدَاءُ بِنُورِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبُرْهَانِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ يَفْضَلِ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

وَالْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ مَكَانَةً، وَمِنَ التَّقْوَى مَنَازِلًا؛ لَا يَسْتَعْنِي عَنِ الْقُرْآنِ مُثَبَّتًا، وَهَادِيًا، وَمُعِينًا، وَكَيْفَ يَسْتَعْنِي وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لِنَبِيِّهِ وَصْفِيهِ ﷺ: ﴿وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيْنَا مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَثَبْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]!!

لِذَلِكَ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَحَاجَةُ الْأُمَّةِ مَاسَّةٌ إِلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ...»، يُرِيدُ: لِصَلَاحِ قُلُوبِهَا، وَثَبَاتِهَا عَلَى الْهُدَى وَالِدِّينِ وَالْحَقِّ.

وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَمَا عَاتَبَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي خُشُوعِ قُلُوبِهِمْ، وَالتَّأَثُّرِ بِكَلَامِهِ؛ حَذَّرَهُمْ مَعَبَةَ التَّمَادِي فِي هَجْرِ تَذَكُّرِ كِتَابِهِ، وَهِيَ قَسْوَةُ الْقُلُوبِ.

فَقَالَ عَلَامُ الْغُيُوبِ وَسِتِّيرُ الْعُيُوبِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ الصَّحَابَةُ بِمَكَّةَ مُجْدِبِينَ، فَلَمَّا هَاجَرُوا؛ أَصَابُوا الرِّيفَ وَالنَّعْمَةَ، فَفَتَرُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ، فَوَعَظَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَأَفَاقُوا».

وَالْعِتَابُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ أَحْرَى وَأَوْلَى.

وَقَدْ أَخْبَرَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْحَالِ الَّتِي يَتَنَفَّعُ فِيهَا الْقَلْبُ بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ: «إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ؛ نَفَعٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَبَنَحُوهُ الْبُخَارِيُّ.

وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

فَالْتَذَكُّرُ حَالِ سَمَاعِ الْقُرْآنِ يَزِيدُ الْقَلْبَ نُورًا وَإِيمَانًا.

قَالَ جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ؛ فَازْدَدْنَا إِيمَانًا».

وَرُسُوحُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْقَلْبِ، الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ الْإِنْفَاعُ؛ لَا يَكُونُ تَرْدِيدًا بَارِدًا لِآيَاتِهِ بِاللِّسَانِ؛ بَحِيثٌ لَا يُحَرِّكُ هَذَا التَّرْدِيدُ قَلْبًا، وَلَا يُغَيِّرُ وَاقِعًا، بَلْ رُسُوحُهُ بِأُمُورٍ بَيْنَهَا الْأَجْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: «فَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ إِذَا تَلَا الْقُرْآنَ؛ اسْتَعْرَضَ الْقُرْآنَ، فَكَانَ كَالْمِرْآةِ، يَرَى بِهَا مَا حَسُنَ مِنْ فِعْلِهِ، وَمَا قَبَحَ فِيهِ، فَمَا حَذَرَهُ مَوْلَاهُ حَذَرَهُ، وَمَا خَوَّفَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِ خَافَهُ، وَمَا رَغَبَ فِيهِ مَوْلَاهُ رَغَبَ فِيهِ وَرَجَاهُ.

فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ، أَوْ مَا قَارَبَ هَذِهِ الصِّفَةَ؛ فَقَدْ تَلَاهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَرَعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شَاهِدًا، وَشَفِيعًا، وَأَنْيسًا، وَحِرْزًا، وَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفُهُ؛ نَفَعَ نَفْسَهُ، وَنَفَعَ أَهْلَهُ، وَعَادَ عَلَى وَالِدَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَ الْقُرْآنُ لَهُ شِفَاءً؛ فَاسْتَعْنَى بِلَا مَالٍ، وَعَزَّ بِلَا عَشِيرَةٍ، وَأَنْسَ مِمَّا يَسْتَوْحِشُ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَكَانَ هَمُّهُ عِنْدَ التَّلَاوَةِ لِلسُّورَةِ إِذَا افْتَتَحَهَا؛ مَتَى أَتَعِظُ بِمَا أَتْلُوهُ؟ وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ: مَتَى أَخْتِمُ السُّورَةَ؟ وَإِنَّمَا مُرَادُهُ: مَتَى أَعْقِلَ عَنِ اللَّهِ الْخِطَابَ؟ مَتَى أَزْدَجِرُ؟ مَتَى أَعْتَبِرُ؟ لِأَنَّ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ عِبَادَةٌ، وَالْعِبَادَةُ لَا تَكُونُ بَغْفَلَةً.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلْقَارِئِ أَنْ يَكُونَ شَأْنُهُ الْخُشُوعَ، وَالتَّدَبُّرَ، وَالْخُضُوعَ، فَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ الْمَطْلُوبُ، وَبِهِ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ، وَتُسْتَوِيِرُ الْقُلُوبُ، وَدَلَالَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ».

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ قُلُوبِ الْخَاشِعِينَ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: (تَلِينُ) أَي: تَرَقُّ قُلُوبُهُمْ، وَتَطْمَئِنُّ، وَتَسْكُنُ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَلَا شَيْءٌ أَنْفَعُ لِلْقَلْبِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّذَكُّرِ وَالتَّفَكُّرِ؛ فَإِنَّهُ جَامِعٌ لِجَمِيعِ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ، وَأَحْوَالِ الْعَامِلِينَ، وَمَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ، وَهُوَ الَّذِي يُورِثُ الْمَحَبَّةَ وَالشُّوقَ، وَالْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ، وَالْإِنَابَةَ وَالتَّوَكُّلَ، وَالرِّضَا وَالتَّفْوِيزَ، وَالشُّكْرَ وَالصَّبْرَ، وَسَائِرَ الْأَحْوَالِ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ وَكَمَالُهُ، وَكَذَلِكَ يَزْجُرُ عَنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي بِهَا فَسَادُ الْقَلْبِ وَهَلَاكُهُ.

فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّذَكُّرِ؛ لَأَشْتَغَلُوا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا».

يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّذَكُّرِ؛ لَأَشْتَغَلُوا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا، فَإِذَا قَرَأَهُ بِتَفَكُّرٍ؛ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا فِي شِفَاءِ قَلْبِهِ؛ كَرَّرَهَا وَلَوْ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ وَلَوْ لَيْلَةً، فَقِرَاءَةُ آيَةٍ بِتَفَكُّرٍ وَتَفْهَمٍ خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَةِ خَمْتَةٍ بَغَيْرِ تَذَكُّرٍ وَتَفْهَمٍ، وَأَنْفَعُ لِلْقَلْبِ، وَأَدْعَى إِلَى حُصُولِ الْإِيمَانِ، وَذَوْقِ حَلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ فَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّفَكُّرِ هِيَ أَصْلُ صِلَاحِ الْقَلْبِ».

فَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّفَكُّرِ هِيَ أَصْلُ صِلَاحِ الْقَلْبِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «فَلَيْسَ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ؛ فَإِنَّهَا تُطْلِعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَتُثَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشِيدُ بُنْيَانَهُ، وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ، وَتُعْطِيهِ قُوَّةً فِي قَلْبِهِ وَحَيَاةً، وَسَعَةً وَانْشِرَاحًا، وَبَهْجَةً وَسُرُورًا، فَيَصِيرُ فِي شَأْنٍ، وَالنَّاسُ فِي شَأْنٍ آخَرَ.

فَلَا تَزَالُ مَعَانِيهِ تَنْهَضُ بِالْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ، وَتُثَبِّتُ قَلْبَهُ عَنِ الزَّيْغِ وَالْمِيلِ عَنِ الْحَقِّ، وَتُنَادِيهِ كُلَّمَا فَتَرَتْ عِزَّمَاتُهُ، وَوَنَى فِي سَيْرِهِ: تَقَدَّمَ الرَّكْبُ، وَفَاتَكَ الدَّلِيلُ! وَفِي تَأَمُّلِ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ أَضْعَافُ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْحِكَمِ وَالْفَوَائِدِ.

وَيُسَبِّحُ حَاجَةَ الْقَلْبِ لِلْقُرْآنِ الدُّعَاءُ الْعَظِيمُ، الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا».

قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟

فَقَالَ: «بَلَى؛ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا».

الْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»،
وَابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُمْ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ كَمَا فِي «شِفَاءِ الْعَلِيلِ»، وَالْأَلْبَانِيُّ فِي
«الصَّحِيحَةِ»، وَكَذَا فِي «صَحِيحِ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ».

فَتَأَمَّلْ فِي هَذَا الدُّعَاءِ الَّذِي عَلَّمَهُ الرَّسُولُ ﷺ الْأُمَّةَ: «أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ
رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي».

لِذَلِكَ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا زَرََعَ الْقُرْآنُ فِي قُلُوبِكُمْ يَا أَهْلَ
الْقُرْآنِ؟!».

إِنَّ الْقُرْآنَ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ، كَمَا أَنَّ الْغَيْثَ رَبِيعُ الْأَرْضِ؛ لِذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
الْخَوَّاصُ: «دَوَاءُ الْقُلُوبِ فِي خَمْسَةٍ...»، وَذَكَرَ أَوْلَاهَا: «قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّذَكُّرِ».

فَإِذَا عَلِمَ هَذَا عِلْمَ افْتِقَارٍ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُكَلَّفٍ يَعْلَمُ يَجْتَهِدُ فِي مَعْرِفَةِ مَعَانِي
الْقُرْآنِ وَالِاهْتِدَاءِ بِهَا، وَيَكُونُ حَقِيقًا حِينِيذًا بِهِ أَنْ يَبْذُلَ جُهِدَهُ، وَيَسْتَفْرِغَ وَسْعَهُ فِي
تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمِهِ بِأَقْرَبِ الطُّرُقِ الْمَوْصِلَةِ إِلَى ذَلِكَ.



مِنَ الْآيَاتِ فِي الثَّنَاءِ عَلَى مَنْ تَأَثَّرَ بِكَلامِ اللَّهِ ﷻ

وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي بَيَانِ أَهَمِّيَّةِ التَّدَبُّرِ، وَعَظِيمِ قَدْرِهِ، أَثْنَى عَلَى مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ، وَتَأَثَّرَ بِهِ؛ فَقَدْ وَرَدَتْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي الثَّنَاءِ عَلَى مَنْ تَأَثَّرَ بِكَلامِ اللَّهِ ﷻ، تَحْمِلُ تِلْكَ الْآيَاتُ فِي طَيِّبَاتِهَا أَحْوالاً لِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَالتَّأَثُّرِ بِهِ.

مِنْهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٣ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿[الأنفال: ٢-٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

فَيَكُونُ بَتَأَثُّرٍ مِنْ تَأَثُّرِ مَوَاعِظِ الْقُرْآنِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا؛ حَيْثُ يَزِيدُهُمْ سَمَاعُ الْقُرْآنِ خُشُوعًا، أَيْ: لِيَن قُلُوبَ، وَرُطُوبَةً أَعْيُنَ.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِثْلَ نَبَاتٍ ثَمَرُهُ خَالِدٌ وَنُفْسُهُ خَالِدٌ وَهُوَ خَالِدٌ ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝﴾ [الزمر: ٢٣].

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:

.[٥٨]

وَمَعْنَى (بُكِيًّا): أَيْ: بُكَاءٌ وَحُزْنًا بِلَا صَوْتٍ.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَكَانَتْ حَالُهُمْ -يَعْنِي: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- عِنْدَ الْمَوَاعِظِ؛ كَانَتْ حَالُهُمُ الْفَهْمُ عَنِ اللَّهِ، وَالْبُكَاءُ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ؛ وَلِذَلِكَ وَصَفَ اللَّهُ أَحْوَالَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ عِنْدَ سَمَاعِ ذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

فَهَذَا وَصْفُ حَالِهِمْ، وَحِكَايَةُ مَقَالِهِمْ، فَمَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِهِمْ».



حَالُ مَنْ هَجَرَ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ

وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَإِنْ هُنَالِكَ مَنْ يُعْرَضُ عَنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَلَا يَتَأَثَّرُ بِهِ؛
لِذَلِكَ وَرَدَ الذَّمُّ لِمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ.

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَمَّنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْ
آيَاتِ رَبِّهِ: ﴿وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ ءَايُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ وَقْرًا^ط
فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ
خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]: «حَثَّ عَلَى تَأْمُلِ مَوَاعِظِ الْقُرْآنِ،
وَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ التَّدَبُّرِ؛ فَإِنَّهُ لَوْ خُوِطِبَ بِهَذَا الْقُرْآنِ الْجِبَالُ مَعَ تَرْكِيبِ
الْعَقْلِ فِيهَا؛ لَأَنقَادَتْ لِمَوَاعِظِهِ، وَلَرَأَيْتَهَا عَلَى صَلَابَتِهَا وَرَزَانَتِهَا خَاشِعَةً مُّتَصَدِّعَةً
مُتَشَقِّقَةً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.

وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمَقْهُورُونَ بِأَعْجَازِهِ لَا تَرْغَبُونَ فِي وَعْدِهِ، وَلَا تَرْهَبُونَ مِنْ
وَعِيدِهِ».

وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ حَالَ مَنْ هَجَرَ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَفْقَهْ الْآيَاتِ،
وَلَمْ يَدَّبَّرِ الْقَوْلَ؛ فِي صَيَغٍ مُّخْتَلِفَةٍ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا
عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا^ع﴾ [الأنعام: ٢٥].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٦-١٧].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].
قَالَ الشَّيْخُ طَيْبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَةُ مِنَ التَّوْبِيخِ وَالْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ أَعْرَضَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ؛ جَاءَ مُوَضَّحًا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَشْتَغِلْ بِتَدَبُّرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ - أَيْ: يَتَصَفَّحُهَا، وَيَتَفَهَّمُهَا، وَيُذَكِّرُ مَعَانِيَهَا، وَيَعْمَلُ بِهَا-؛ فَإِنَّهُ مُعْرِضٌ عَنْهَا، غَيْرٌ مُتَدَبِّرٌ لَهَا، فَيَسْتَحِقُّ الْإِنْكَارَ وَالتَّوْبِيخَ الْمَذْكُورَ فِي الْآيَاتِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَعْطَاهُ فَهَمًّا يَقْدِرُ بِهِ عَلَى التَّدَبُّرِ.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ، وَتَفَهَّمَهُ، وَتَعَلُّمَهُ، وَالْعَمَلَ بِهِ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَإِعْرَاضٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَقْطَارِ عَنِ النَّظَرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَتَفَهَّمِهِ، وَالْعَمَلَ بِهِ، وَبِالسُّنَّةِ الثَّابِتَةِ الْمُبَيِّنَةِ لَهُ؛ مِنْ أَعْظَمِ الْمَنَاقِرِ وَأَشْنَعِهَا».

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

[الفرقان: ٣٠].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَتَرَكَ تَدَبُّرَهُ مِنْ هَجْرَانِهِ».

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]:
«عَابَ الْمُنَافِقِينَ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ التَّدَبُّرِ فِي الْقُرْآنِ، وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ وَفِي مَعَانِيهِ».

وَفِي وَصْفِ الْخَوَارِجِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ».

أَيُّ: أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَإِقْرَائِهِ، وَهُمْ لَا يَتَفَقَّهُونَ فِيهِ، وَلَا يَعْرِفُونَ مَقَاصِدَهُ.

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذَمَّهُمْ بِأَحْكَامِ أَلْفَاظِهِ، وَتَرَكِ التَّفَهُمَ لِمَعَانِيهِ».

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُرَادُ: أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ حَظٌّ؛ إِلَّا مَا يَكُونُ مِنْ مُرُورِهِ عَلَى لِسَانِهِمْ، لَا يَصِلُ إِلَى حُلُوقِهِمْ؛ فَضَلًّا عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَى قُلُوبِهِمْ؛ لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ تَعَقُّلُهُ، وَتَدَبُّرُهُ؛ بِوُقُوعِهِ فِي الْقَلْبِ».

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، لَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ، وَلَا زَاجِرُهُ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ، يَنْشُرُهُ نَشْرَ الدَّقْلِ - وَهُوَ رَدِيءُ التَّمْرِ - !!».

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَهْذُوا الْقُرْآنَ هَذَا الشَّعْرَ، وَلَا تَنْشُرُوهُ نَشْرَ الدَّقْلِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ».

وَمَثَلُ اللَّهِ تَعَالَى حَالِ الْيَهُودِ مَعَ التَّوْرَةِ أَقْبَحُ تَمْثِيلٍ وَأَشْنَعُهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:
﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

قَالَ الطُّرْتُوشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَدَخَلَ فِي عُمُومِ هَذَا مَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ مِنْ أَهْلِ
مِلَّتِنَا، ثُمَّ لَا يَفْهَمُهُ، وَلَا يَعْمَلُ بِهِ».

بَلْ عَدَّ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ مِنْ بَدْعِ الْقُرَّاءِ: الْقِرَاءَةَ بِالْهَذْرَمَةِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ
سَرِيعَةٌ لَا تَذَكَّرُ مَعَهَا، وَلَا فِقْهَ لِلْمَعَانِي، وَلَا تَأْتُرُ بِالْمَوَاعِظِ.

قَالَ الطُّرْتُوشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِمَّا ابْتَدَعَهُ النَّاسُ فِي الْقُرْآنِ: الْإِقْتِصَارُ عَلَى حِفْظِ
حُرُوفِهِ دُونَ التَّفَقُّهِ فِيهِ».

فَجَعَلَ هَذَا مِنَ الْبَدْعِ.

يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مِمَّا ابْتَدَعَهُ النَّاسُ فِي الْقُرْآنِ: الْإِقْتِصَارُ عَلَى حِفْظِ حُرُوفِهِ
دُونَ التَّفَقُّهِ فِيهِ».



مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

مِنْ صُورِ النَّصِيحَةِ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى

لَقَدْ عَدَّ الْعُلَمَاءُ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمَ عُلُومِهِ مِنَ النَّصْحِ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى - كَمَا مَرَّ -؛ لِحَدِيثِ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ».

قُلْنَا: لِمَنْ؟

قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ».

وَقَدْ عَدَّ الْعُلَمَاءُ التَّدَبُّرَ لِلْقُرْآنِ، وَالْوُقُوفَ عِنْدَ أَحْكَامِهِ، وَالْإِعْتِبَارَ بِأَمْثَالِهِ مِنَ النَّصْحِ لَهُ، وَتَنَوَّعَتْ عِبَارَاتُهُمْ فِي ذَلِكَ، كَمَا مَرَّ مِنْ كَلَامِ ابْنِ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهُنَا كَلَامُ النَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى».

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمَ مَا يَدْعُو إِلَى تَدَبُّرٍ وَفَهُمٍ كَلَامِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ عَلَى يَقِينٍ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى هَذَا الْيَقِينِ؛ لِأَنَّهُ لَا تَصِحُّ عَقِيدَتُهُ إِلَّا بِهِ، أَنْ يَكُونَ عَلَى يَقِينٍ عِنْدَمَا يَقْرَأُ وَيَتْلُو كَلَامَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ يَقْرَأُ كَلَامَ اللَّهِ، تَكَلَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ حَقِيقَةً، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَيُعَامِلُ الْقُرْآنَ عَلَى هَذَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُعَامَلَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَكَلَامُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ؛ فَالْإِنْسَانُ يُعْظِمُ كَلَامَ اللَّهِ، وَيَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَيُحَسِّنُهُ، وَيَخْشَعُ عِنْدَهُ، وَيُقِيمُ حُرُوفَهُ فِي التَّلَاوَةِ، وَيَقِفُ مَعَ أَحْكَامِهِ، وَيَتَفَهَّمُ عُلُومَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَيَعْتَبِرُ بِمَوَاعِظِهِ، وَيَتَفَكَّرُ فِي عَجَائِبِهِ، وَيَعْمَلُ بِمُحْكَمِهِ، وَيُسَلِّمُ لِمُتَشَابِهِهِ، وَيَبْحَثُ عَنْ عُمُومِهِ وَخُصُوصِيهِ، وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَيَنْشُرُ عُلُومَهُ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ؛ فَهَذَا هُوَ النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

جامعة

مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

فَضِيلَةُ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَتَدَارُسِهِ

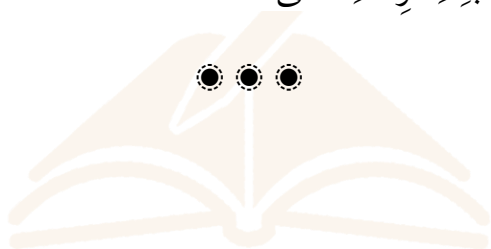
وَمِمَّا يُؤَكِّدُ فَضِيلَةَ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ، وَفَضِيلَةَ تَدَارُسِ الْقُرْآنِ وَالْإِجْتِمَاعِ عَلَيْهِ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارُسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ؛ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

«مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ»: لَعَلَّهَا إِشَارَةٌ إِلَى تَرْكِ الْإِجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَهَجْرِ تَدَارُسِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَذْمُومِ، وَصَاحِبُهُ مَحْرُومٌ، أَيْ: مِنْ هَذِهِ الْفَضَائِلِ، بِتَفْرِيطِهِ فِي هَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلِ، وَلَنْ يُسْرَعَ بِهِ نَسَبُهُ، أَوْ مَا مَلَكَ مِنْ مَفَاخِرِ الدُّنْيَا لِيُذْرِكَ مَا فَاتَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُجُورِ الْعَظِيمَةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْإِجْتِمَاعَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَالْمُدَارَسَةَ لَهُ؛ بَيَّنَّ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ النَّتَائِجِ وَالْآثَارِ: «إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»، ثُمَّ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ شَيْءَ يُغْنِي عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْمَآثِرِ وَالْمَفَاخِرِ وَالْعَطَايَا؛ مَهْمَا كَانَ الْإِنْسَانُ.

لِذَلِكَ يَقُولُ: «وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ...» يَعْنِي: فَرَطَ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الْإِجْتِمَاعِ عَلَى التَّلَاوَةِ، وَتَعَلُّمِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَمُدَارَسَةِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ.

«مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ؛ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»؛ وَلَوْ مَلَكَ مَا مَلَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَبَلَغَ مَا
بَلَغَ مِنَ النَّسَبِ وَصِحَّتِهِ.

أَهَمِّيَّةُ تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ تَكْمُنُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ، وَأَيْضًا فِي التَّفَاعُلِ
الْوَجْدَانِيِّ، وَالِاسْتِجَابَةِ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.



جامعة

مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

الْهَدَفُ مِنَ التَّدْبِيرِ

الْهَدَفُ الْأَسَاسُ مِنَ التَّدْبِيرِ: هُوَ تَحْقِيقُ مَقْصُودِ نَزُولِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ الْعَمَلُ بِهِ، وَالْمُبَادَرَةُ لِتَنْفِيزِ مَا يَأْمُرُ بِهِ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، مَعَ الْإِنْتِهَاءِ عَمَّا يَنْهَى عَنْهُ.

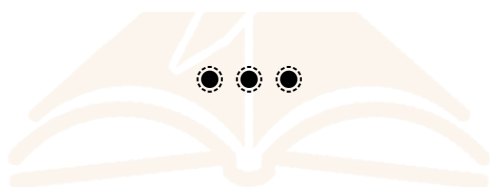
قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ: الْكَشْفُ عَنْ مَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ، وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ، وَطَلْبُهُ مِنْ مَظَانِّهِ، وَتَعَلُّمُ ذَلِكَ، وَتَعْلِيمُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ، ثُمَّ قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

فَدَمَّ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَنَا بِاعْرَاضِهِمْ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ؛ فَعَلَيْنَا أَئِهَا الْمُسْلِمُونَ أَنْ نَنْتَهِيَ عَمَّا ذَمَّهُمُ اللَّهُ عَنْهُ.

لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنَّمَا يَذُمُّهُمْ عَنِ الشَّيْءِ لِيُحَذِّرَنَا مِنْهُ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الْإِلَهِيَّةِ؛ وَلَكِنْ لَا يَذْكُرُ ذَلِكَ مَعَ الذَّمِّ لَهُ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحَذِّرَنَا مِنَ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِهِ.

«فَدَمَّ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَنَا بِاعْرَاضِهِمْ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نَنْتَهِيَ عَمَّا ذَمَّهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَأَنْ نَأْتِمِرَ بِمَا أَمَرَنَا اللَّهُ بِهِ؛ مِنْ تَعَلُّمِ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ إِلَيْنَا وَتَعْلِيمِهِ، وَتَفْهَمِهِ وَتَفْهِيمِهِ».

مَنْ عَرَفَ الْقُرْآنَ وَفَهَمَ مَعَانِيَهُ؛ تَيَقَّنَ أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ؛ فَحِينَئِذٍ يُؤْمِنُ
وَيَسْتَجِيبُ لِأَحْكَامِهِ، وَيَأْتِمِرُ بِأَوَامِرِهِ، وَيَنْتَهِي عَنْ زَوَاجِرِهِ، وَيَكُونُ حَالُهُ كَحَالِ
أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ آمَنُوا، وَلَمْ يُغَيِّرُوا وَلَمْ يُبَدِّلُوا: ﴿الَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ
هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنَالَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمْنَاهُ بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا
مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢-٥٣].



جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

مِنْ ثَمَرَاتِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

وَتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ يُثْمِرُ زِيَادَةَ الْإِيمَانِ؛ فَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَمُدَاوَمَةُ الْإِتِّصَالِ مَعَهُ، مَعَ التَّجَاوُبِ مَعَ كَلَامِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا يُؤَثِّرُ فِي الْمُسْتَوَى الْإِيمَانِيِّ لِلْقَارِئِ الْمُتَدَبِّرِ، وَكُلَّمَا قَرَأَ آيَةً أَوْ سُورَةً؛ أَثَرَتْ فِي عِبَادَتِهِ وَإِيمَانِهِ.

قَالَ تَعَالَى وَاصِفًا حَالَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، فَالْقَلْبُ يَزْدَادُ إِذْعَانًا وَإِخْبَاتًا بِالتَّدَبُّرِ، وَالْإِيمَانُ يَزِيدُ رُسُوحًا بِالتَّدَبُّرِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَجْهُ ذَلِكَ: أَنَّهُمْ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَيُحْضِرُونَ قُلُوبَهُمْ لِتَدَبُّرِهِ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَزِيدُ إِيْمَانُهُمْ؛ لِأَنَّ التَّدَبُّرَ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ، وَلِأَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَعْنَى مَا كَانُوا يَجْهَلُونَهُ، أَوْ يَتَذَكَّرُونَ مَا كَانُوا نَسُوهُ، أَوْ يُحْدِثُ فِي قُلُوبِهِمْ رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ، أَوْ اشْتِيَاقًا إِلَى كَرَامَةِ رَبِّهِمْ، أَوْ وَجَلًا مِنَ الْعُقُوبَاتِ، وَازْدِجَارًا عَنِ الْمَعَاصِي، وَكُلُّ هَذَا مِمَّا يَزْدَادُ بِهِ الْإِيمَانُ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَزْدَادُ

بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَهَذِهِ الْمَذْكُورَاتُ كُلُّهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ بَلْ مِنْ أَرْكَانِهَا وَأُصُولِهَا.

إِذَا؛ التَّدَبُّرُ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَزِيدُ إِيْمَانَ الْعَبْدِ، وَيُكْسِبُهُ الْخُشُوعَ، فَالْخُشُوعُ مَرْتَبَةٌ يُحْصِلُهَا الْخَاشِعُ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ؛ وَحِينَئِذٍ يَشْعُرُ بِالطُّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِّهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

فَالَّذِينَ اكْتَسَبُوا الْخُشُوعَ نَالُوا فِي الدُّنْيَا رَاحَةَ الْقُلُوبِ، وَفَازُوا فِي الْآخِرَةِ بِالْمَطْلُوبِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلْقَارِئِ أَنْ يَكُونَ شَأْنُهُ الْخُشُوعَ، وَالتَّدَبُّرَ، وَالْخُضُوعَ، فَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ الْمَطْلُوبُ، وَبِهِ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ، وَتَسْتَنِيرُ الْقُلُوبُ، وَدَلَالُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذَكَّرَ».

قَالَ تَعَالَى وَاصِفًا الَّذِينَ يَتَجَاوَبُونَ مَعَ آيَاتِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخُشُوعُ هُوَ مَقْصُودُ التَّلَاوَةِ».

هُنَاكَ أُمُورٌ أُخْرَى تُبْرِزُ لَنَا أَهَمِّيَّةَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِنْهَا: حَاجَةُ الْقَلْبِ إِلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

كَمَا مَرَّ: فِي الْقَلْبِ وَخَشَّةٌ لَا تُزَالُ إِلَّا بِالْأُنْسِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّامُّلِ فِي آيَاتِهِ، وَفِي الْقَلْبِ قَلَقٌ وَخَوْفٌ لَا يُؤْمِنُهُ إِلَّا السُّكُونُ إِلَى مَا بَشَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عِبَادَهُ، وَفِي الْقَلْبِ فَاقَةٌ لَا يُغْنِيهَا إِلَّا التَّرَوُّدُ مِنْ حِكْمِ الْقُرْآنِ وَمَوَاعِظِهِ وَعِبَرِهِ، وَفِيهِ حَيْرَةٌ وَاضْطِرَابٌ لَا يُنْجِيهِ مِنْهَا إِلَّا الْإِعْتِصَامُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿[يونس: ٥٧-٥٨].

لَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَغَبَّةِ التَّمَادِي فِي هَجْرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَكَانَتِ النَّتِيجَةُ هِيَ قَسْوَةُ الْقُلُوبِ، كَمَا بَيَّنَّ عَلَامُ الْغُيُوبِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

الْأَصْلُ أَنَّ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ وَجُلُودَهُمْ تَخْشَعُ، وَتَخْضَعُ، وَتَرْقُ، وَتَسْكُنُ، وَتَطْمَئِنُّ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْشَعَ قَلْبُهُ، وَيَنْشَرَحَ صَدْرُهُ؛ فَلَا غِنَى لَهُ عَنِ التَّفَكُّرِ وَالتَّمَعُّنِ فِي آيَاتِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

فَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ - كَمَا قَالَ الْأَجْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ -: «إِذَا تَلَا الْقُرْآنَ؛ اسْتَعَرَضَ الْقُرْآنَ، فَكَانَ كَالْمَرْأَةِ، يَرَى بِهَا مَا حَسَنَ مِنْ فِعْلِهِ، وَمَا بَحَّحَ فِيهِ، فَمَا حَذَّرَهُ مَوْلَاهُ حَذَرَهُ، وَمَا خَوَّفَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِ خَافَهُ، وَمَا رَغَّبَ فِيهِ مَوْلَاهُ؛ رَغِبَ فِيهِ وَرَجَاهُ.

فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ، أَوْ مَا قَارَبَ هَذِهِ الصِّفَةَ؛ فَقَدْ تَلَاهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَرَعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شَاهِدًا وَشَفِيعًا، وَأَنْيَسًا وَحِرْزًا، وَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفُهُ؛ نَفَعَ نَفْسَهُ، وَنَفَعَ أَهْلَهُ، وَعَادَ عَلَى وَالِدَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّفَكُّرِ وَالتَّذَكُّرِ أَصْلُ صَلَاحِ الْقَلْبِ وَاسْتِقَامَتِهِ، وَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَأَقْرَبُ إِلَى نَجَاتِهِ فِي مَعَادِهِ مِنْ تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثُمَّ إِنَّ مَنْ يَجْتَهِدُ فِي تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي مَعَانِيهِ؛ يَدْخُلُ فِيْمَنْ أَثْنَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَثْنَى فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ عَلَى مَنْ تَذَكَّرَ كَلَامَهُ، وَتَأَثَّرَ بِهِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ ذَلِكَ صِفَةُ عِبَادِ اللَّهِ الْخَاشِعِينَ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وَجْهٌ زِيَادَةُ إِيمَانِهِمْ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ: هُوَ أَنَّهُمْ أَلْقَوْا السَّمْعَ لِلْقُرْآنِ، وَأَخْضَرُوا قُلُوبَهُمْ لِتَذَكُّرِهِ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَزْدَادَ إِيمَانَهُمْ وَبَيَّنَّهُمْ.

فَالْتَذَكُّرُ يُحْدِثُ رَغْبَةَ الْخَيْرِ، وَاشْتِيَاقًا إِلَى كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَوَجَلًا مِنْ عُقُوبَاتِهِ، وَزَجْرًا عَنْ مَعَاصِيهِ، وَكُلُّ هَذَا مِمَّا يَزِدُّهُ بِهَ الْإِيمَانُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

تُبَيِّنُ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ أَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ هُمُ الَّذِينَ يَتَأَثَّرُونَ عِنْدَ سَمَاعِ مَوَاعِظِ الْقُرْآنِ؛ بِسَبَبِ تَدَبُّرِهِمْ لِآيَاتِهِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِالْقُرْآنِ فَهُوَ جَاهِلٌ لَا يَسْتَحِقُّ وَصْفَ الْعِلْمِ، وَكَرَّرَ ذِكْرَ الْخُرُورِ لِلْأَذْقَانِ؛ لِاخْتِلَافِ السَّبَبِ:

فَالْأَوَّلُ: لَتَعْظِيمِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيهِهِ.

وَالثَّانِي: لِلْبُكَاءِ بِتَأْثِيرِ مَوَاعِظِ الْقُرْآنِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَزِيَادَةِ خُشُوعِهِمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝﴾ [مريم: ٥٨].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَكَانَتْ حَالُهُمْ -يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- عِنْدَ الْمَوَاعِظِ؛ كَانَتْ حَالُهُمْ الْفَهْمَ عَنِ اللَّهِ، وَالْبُكَاءَ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ؛ لِذَلِكَ وَصَفَ اللَّهُ أَحْوَالَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ عِنْدَ سَمَاعِ ذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝﴾ [المائدة: ٨٣].

فَهَذَا وَصْفُ حَالِهِمْ، وَحِكَايَةُ مَقَالِهِمْ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ؛ فَلَيْسَ عَلَى هَدْيِهِمْ وَلَا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ، فَمَنْ كَانَ مُسْتَنًا فَلْيَسْتَنَّ بِهِمْ».

ذَمُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ

إِذَا أَقْبَلَ الْإِنْسَانُ عَلَى تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُجْتَهِدًا فِي أَلَّا يَتَعَرَّضَ إِلَى الذَّمِّ لِتَرْكِ التَّذَكُّرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَمَّ حَالَ مَنْ هَجَرَ تَذَكُّرَ الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَفْقَهِ الْآيَاتِ، وَلَمْ يَذَكِّرِ الْقَوْلَ فِي صَيَغٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَحْوَالٍ مُتَنَوِّعَةٍ.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، عَابَ الْمُنَافِقِينَ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ التَّذَكُّرِ فِي الْقُرْآنِ، وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ وَفِي مَعَانِيهِ.

﴿أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، أَنْكَرَ عَلَى الْكُفَّارِ عَدَمَ تَفَكُّرِهِمْ فِي الْقُرْآنِ، وَتَأَمُّلِهِمْ فِي مَوَاعِظِهِ وَعِبَرِهِ، وَتَذَكُّرِهِمْ لِآيَاتِهِ، فَإِنَّهُمْ لَوْ تَذَكَّرُوهُ؛ لَأَوْجَبَ لَهُمُ الْإِيمَانَ، وَلَمَنَعَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ، وَلَكِنَّ الْمُصِيبَةَ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ: هِيَ إِعْرَاضُهُمْ عَنِ تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَذَكُّرَ الْقُرْآنِ يَدْعُو إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَيَعْصِمُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَتَرَكْتُ تَدَبُّرَهُ وَتَفَهُهُ مِنْ هِجْرَانِهِ»، يَعْنِي: إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَالِيًا وَمُرَدِّدًا، حَالًا وَمُرْتَحِلًا، وَلَكِنْ تَرَكْتَ تَدَبُّرَهُ وَتَفَهُهُ؛ فَأَنْتَ قَدْ هَجَرْتَ كِتَابَ رَبِّكَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

تَرَكْتُ تَدَبُّرَهُ وَتَفَهُهُ مِنْ هِجْرَانِهِ.



مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

هَجَرُ الْقُرْآنِ أَنْوَاعٌ

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَجَرُ الْقُرْآنِ أَنْوَاعٌ...» ثُمَّ ذَكَرَ مِنْهَا: «هَجَرُ تَذَكُّرِهِ وَتَفَهُمِهِ، وَمَعْرِفَةِ مَا أَرَادَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ».

وَقَدْ مَرَّ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَثَلُ حَالِ الْيَهُودِ مَعَ التَّوْرَةِ أَقْبَحَ تَمَثِيلٍ، فَقَالَ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِيُّ: «فَدَخَلَ فِي عُمُومِ هَذَا: مَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا، ثُمَّ لَا يَفْهَمُهُ، وَلَا يَعْمَلُ بِهِ».

وَقَدْ مَرَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفِقِ عَلَى صِحَّتِهِ: ذَكَرَ حَالَ الْخَوَارِجِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ مِنْ حَالِهِمْ -بَلْ مِنْ أَعْظَمَ مَا يُعْرَفُونَ بِهِ، وَيُوصَفُونَ بِهِ-: أَنَّهُمْ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، أَوْ حَنَاجِرَهُمْ، لَيْسَ حَظُّهُمْ مِنَ الْقُرْآنِ سِوَى مُرُورِهِ عَلَى اللِّسَانِ؛ فَلَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ لِيَصِلَ قُلُوبَهُمْ، وَلَيْسَ ذَلِكَ هُوَ الْمَطْلُوبُ، بَلِ الْمَطْلُوبُ تَعَقُّلُهُ وَتَذَكُّرُهُ بِوُقُوعِهِ فِي الْقَلْبِ.

وَالْتَعَقُّلُ وَالتَّذَكُّرُ يَقُودُ إِلَى الْعَمَلِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي آدَتْ إِلَى ضَلَالِهِمْ؛ فَهُمْ يُكْثِرُونَ الْعِبَادَةَ بِلَا فِقْهِ، وَيُقْبِلُونَ عَلَيْهَا إِقْبَالًا عَظِيمًا بِلَا فَهْمٍ، فَهُمْ

يَحْقِرُ الصَّحَابَةُ تِلَاوَتَهُمْ مَعَ تِلَاوَتِهِمْ؛ وَمَعَ ذَلِكَ فَتِلَاوَةُ الْخَوَارِجِ لَا تَنْفَعُهُمْ
«يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، أَوْ قَالَ: تَرَاقِيَهُمْ، أَوْ قَالَ: حُلُوقَهُمْ»،
يَعْنِي: إِنَّهُ لَا يُؤَثِّرُ فِي قُلُوبِهِمْ شَيْئًا؛ لِذَلِكَ أَخَذُوا آيَاتِ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ،
فَجَعَلُوهَا فِي الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ اسْتَبَاحُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
مَاسِيهِمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ لَمْ يَدَّبَّرُوا الْقُرْآنَ، وَلَمْ يَنْفَعَهُمْ مَعَانِيهِ.

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَا تَهْذُوهُ -يَعْنِي الْقُرْآنَ- هَذَا الشَّعْرُ، وَلَا تَنْشُرُوهُ
نَشْرَ الدَّقَلِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِيهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدُكُمْ آخِرَ
السُّورَةِ».

وَعَنْ أَبِي جَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنِّي سَرِيعُ الْقِرَاءَةِ،
وَإِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ».

فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَأَنْ أَقْرَأَ الْبَقْرَةَ فِي لَيْلَةٍ، فَأَدَّبَرَهَا وَأَرْتَلَّهَا؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ
كَمَا تَقُولُ».

لَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ الْمَجِيدَ يُرْشِدُ
أَصْحَابَهُ إِلَى أَفْضَلِ الْأَحْوَالِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

قَالَ السَّعْدِيُّ: «(أَقَوْمُ) أَيُّ: أَكْرَمُ، وَأَنْفَسُ، وَأَصْلَحُ، وَأَكْمَلُ اسْتِقَامَةً، وَأَعْظَمُ قِيَامًا وَصَلَاحًا لِلْأُمُورِ».

وَالْهُدَايَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، فَيَتَذَكَّرُهُ وَيَعْمَلُ بِهِ؛ لِأَنَّ الْهَدَفَ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ: هُوَ أَنْ تَتَذَكَّرَ آيَاتِهِ، بِمَعْنَى: أَنْ تَتَفَكَّرَ فِي مَعَانِيهَا، وَمَذْلُولَاتِهَا، وَأَسْرَارِهَا، وَأَخْبَارِهَا؛ حَتَّى نَسْتَفِيدَ مِنْهَا الْهُدَايَةَ، وَنَسْتَفِيدَ مِنْهَا خَشْيَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَعِبَادَتَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَعْرِفَ مَا نَأْتِي وَمَا نَتْرُكُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَالْأَقْوَالِ، وَالْمُعَامَلَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا يَتِمُّ هَذَا وَلَا يَحْصُلُ إِلَّا بِتَذَكُّرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

فَفِي التَّذَكُّرِ: الْهُدَايَةُ الشَّامِلَةُ، وَتَرْقِيَةُ الْهَمَّةِ لِلْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ، وَالتَّوْفِيقُ لِلدَّرَجَاتِ الرَّفِيعَةِ، وَصَلَاحُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَذَكُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ؛ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَتُثَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشِيدُ بُيُوتَهُ، وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ، وَتُعْطِيهِ قُوَّةً فِي قَلْبِهِ وَحَيَاةً، وَسَعَةً وَانْشِرَاحًا، وَبَهْجَةً وَسُرُورًا؛ فَيَصِيرُ فِي شَأْنٍ، وَالنَّاسُ فِي شَأْنٍ آخَرَ».

فَلَا تَزَالُ مَعَانِيهِ تَهْضُ بِالْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ، وَتُثَبِّتُ قَلْبَهُ عَنِ الزَّيْغِ وَالْمِيلِ عَنِ الْحَقِّ، وَتُنَادِيهِ كُلَّمَا فَتَرَتْ عِزَّمَاتُهُ، وَوَنَى فِي سِيرِهِ: تَقَدَّمَ الرَّكْبُ، وَفَاتَكَ الدَّلِيلُ! وَفِي تَأَمُّلِ الْقُرْآنِ وَتَذَكُّرِهِ أَضْعَافُ أَضْعَافٍ مَا ذَكَّرْنَا مِنَ الْحِكَمِ وَالْفَوَائِدِ».

إِنَّ مَنْ أَقْبَلَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَدَبِّرًا؛ يَحْصُلُ لَهُ مِنَ التَّلَذُّذِ بِالتَّلَاوَةِ، مَا يَجِدُ طَعْمَهُ فِي قَلْبِهِ بَزِيَادَةِ الْإِيمَانِ، أَوْ بَرَاحَةٍ فِي الْقَلْبِ يَجِدُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَذَّةٌ فِي تِلَاوَتِهِ، وَلَذَّةٌ فِي الْإِسْتِمَاعِ إِلَى آيَاتِهِ، وَلَذَّةٌ فِي تَدَبُّرِ مَعَانِيهِ، وَلَذَّةٌ فِي فَهْمِ مَرَامِيهِ لَا يَسْتَشْعِرُهَا إِلَّا مَنْ حَقَّقَ مَطَالِبَهَا، وَإِنَهَا لِلذَّةِ لَا تُعَادِلُهَا لَذَّةٌ مِنَ لَذَائِدِ الدُّنْيَا.

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: «مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ وَفَهْمٌ، وَتَقْوَى وَتَدَبُّرٌ؛ لَمْ يُدْرِكْ مِنْ لَذَّةِ الْقُرْآنِ شَيْئًا».

مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ وَفَهْمٌ، وَتَقْوَى وَتَدَبُّرٌ؛ لَمْ يُدْرِكْ مِنْ لَذَّةِ الْقُرْآنِ شَيْئًا.
وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنِّي لَا أُعْجِبُ مِمَّنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَعْلَمْ تَأْوِيلَهُ؛ كَيْفَ يَلْتَذُّ بِقِرَاءَتِهِ؟!».

وَلَا يَتَعَارِضُ قَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ مَعَ حَقِيقَةِ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَلْتَذُّ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ الْإِسْتِمَاعِ إِلَيْهِ؛ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فَاهِمًا لِلْمَعَانِي، أَوْ عَارِفًا لِلْمَقَاصِدِ؛ لِأَنَّ مَقْصُودَهُ -أَي: مَقْصُودَ ابْنِ جَرِيرٍ- التَّلَذُّذُ الْأَكْمَلُ، الَّذِي يَكُونُ بِمَعْرِفَةِ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَالتَّأَثُّرِ بِجَرِّسِهِ، وَمَقَاطِعِهِ، وَأُسْلُوبِهِ، وَتَنَاسُبِ آيَاتِهِ.

وَمَنْ تَدَبَّرَ كَلَامَ اللَّهِ؛ تَبَيَّنَ لَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ الْفَقْهِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْحَيَاةِ، وَتَعَوَّدَ عَلَى الْأَسَالِيبِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي تَوْضِيحِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، الَّتِي بِهَا سَعَادَةُ النَّاسِ، وَصَلَاحُ مَعَاشِهِمْ؛ فَيَعِينُهُ ذَلِكَ عَلَى الْإِلْتِزَامِ بِشُعَبِ الدِّينِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

إِنَّ فِي الْقُرْآنِ شِفَاءً، شِفَاءً حَسِيًّا، وَشِفَاءً مَعْنَوِيًّا، وَالتَّدَبُّرُ يَدْفَعُ الْعَقَائِدَ الْفَاسِدَةَ وَالشُّكُوكَ الْمُحِيرَةَ، فَإِذَا تَدَبَّرَ الْمُؤْمِنُ الْقُرْآنَ؛ زَالَتْ عَنْهُ الشُّبُهَاتُ وَالشَّهَوَاتُ الَّتِي تَرُدُّ عَلَى الْإِنْسَانِ؛ فَتَضَرِّفُهُ عَنِ الطَّاعَاتِ، أَوْ تَهْوِي بِهِ فِي بَحَارِ الْمَعَاصِي وَالظُّلُمَاتِ، فِي الْقُرْآنِ الشِّفَاءُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَقَدْ بَيَّنَّهُ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

وَقَالَ أَيْضًا: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وَبِالتَّسْهِيلِ فِي الْهَمْزَةِ أَيْضًا ﴿عَجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾.

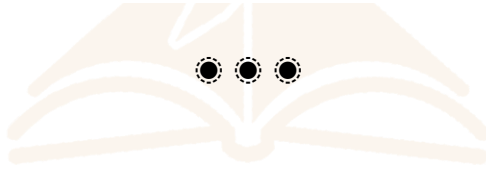
قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ آيَةِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: «قَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَنَزَّلَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ يُسْتَشْفَى بِهِ مِنَ الْجَهْلِ وَمِنَ الضَّلَالَةِ، وَيُبَصِّرُ بِهِ مِنَ الْعَمَى، وَهُوَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ دُونَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، يُحِلُّونَ حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ؛ فَيُدْخِلُهُمْ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ، وَيُنَجِّيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ، فَهُوَ لَهُمْ رَحْمَةٌ وَنِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ».

وَالرُّفِيقَةُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي يُسْتَشْفَى بِهَا مِنَ الْأَمْرَاضِ الْحَسِيَّةِ تَسْتَلْزِمُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ بِتَدَبُّرٍ وَتَأَمُّلٍ؛ حَتَّى تَكُونَ نَافِعَةً بِإِذْنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، لَيْسَتْ الْقِرَاءَةُ الْهَذَرَمِيَّةُ الَّتِي لَا خُشُوعَ فِيهَا وَلَا إِخْبَاتَ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالْقُرْآنُ هُوَ الشِّفَاءُ التَّامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْوَاءِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، وَأَدْوَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يُؤْهِلُ وَلَا يُوفِّقُ لِلاِسْتِشْفَاءِ بِالْقُرْآنِ، وَإِذَا أَحْسَنَ الْعَبْدُ التَّدَاوِيَّ بِالْقُرْآنِ بِصِدْقٍ وَإِيمَانٍ، وَقَبُولٍ تَامٍّ، وَاعْتِقَادٍ جَازِمٍ، وَاسْتِيفَاءٍ شُرُوطِهِ؛ لَمْ يُقَاوِمْهُ الدَّاءُ أَبَدًا، وَكَيْفَ تُقَاوِمُ الْأَدْوَاءَ كَلَامَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، الَّذِي لَوْ نَزَلَ عَلَى الْجِبَالِ لَصَدَعَهَا، وَعَلَى الْأَرْضِ لَقَطَعَهَا».

فَمَا مِنْ مَرَضٍ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ إِلَّا فِي الْقُرْآنِ سَبِيلُ الدَّلَالَةِ
عَلَى دَوَائِهِ، وَسَبَبُهُ، وَالْحِمِيَّةُ مِنْهُ لِمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ فَهَمًّا فِي كِتَابِهِ، وَأَمَّا الْأَدْوِيَّةُ
الْقَلْبِيَّةُ؛ فَإِنَّهُ يَذْكُرُهَا مُفَصَّلَةً، وَيَذْكُرُ أَسْبَابَ أَدْوَائِهَا، وَيَذْكُرُ عِلَاجَهَا.

فَهَذِهِ بَعْضُ الْأُمُورِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَهَمِّيَّةِ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ، وَهُوَ تَذَكُّرُ آيَاتِ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ.



جامعة

مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

وَجُوبُ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ

وَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى التَّدْبِيرَ، وَالتَّفَكُّرَ، وَإِمْعَانَ النَّظَرِ؛ لِفَهْمِ مَعَانِي آيَاتِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ.

أَوْجَبَ اللَّهُ ذَلِكَ، وَعَابَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ إِعْرَاضَهُمْ عَنْ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ، وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ وَفِي مَعَانِيهِ فِي مَوَاضِعَ عِدَّةٍ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهَا، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وَقَدْ أَطْبَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى وَجُوبِ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ؛ فَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَاتُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا عَلَى وَجُوبِ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَقَدْ أَطْبَقَ عَلَى ذَلِكَ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ.

فَالَّذِي تَأْتِي بِهِ مِنَ التَّدْبِيرِ لَيْسَ نَفْلًا تَتَطَوَّعُ بِهِ، إِنَّمَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْكَ، أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْكَ؛ أَنْ تَتَدَبَّرَ فِي كِتَابِهِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لِيَتَدَبَّرَ، وَلِيُنْفِهُمْ

مَعَانِيهِ وَمَقَاصِدُهُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ، فَأَوْجِبَ عَلَيْكَ رَبُّكَ ذَلِكَ، فَعِنْدَمَا تَأْتِي بِهِ؛ إِنَّمَا تُحَمِّدُ عَلَى الْإِثْيَانِ بِالْوَاجِبِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَا عَلَى أَنَّكَ تَتَطَوَّعُ بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِكَ، بَلْ هَذَا وَاجِبٌ عَلَيْكَ، وَفِي الْمُقَابِلِ إِنْ لَمْ تَقُمْ بِهِ؛ كُنْتَ مَأْثُومًا مَأْزُورًا.



مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

مِنْ كَلَامِ السَّلَفِ فِي الْحَثِّ عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

هَذِهِ بَعْضُ النُّقُولِ الْوَارِدَةِ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ فِي هَذَا الشَّأْنِ:

قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِي حَثِّ اللَّهِ تَعَالَى عِبَادَهُ عَلَى الْإِعْتِبَارِ بِمَا فِي آيِ الْقُرْآنِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْبَيِّنَاتِ: مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَةَ تَأْوِيلِ مَا لَمْ يُحْجَبْ عَنْهُمْ تَأْوِيلُهُ مِنْ آيِهِ؛ لِأَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَا يَفْهَمُ مَا يُقَالُ، وَلَا يَعْقِلُ تَأْوِيلَهُ: اعْتَبِرْ بِمَا لَا فَهْمَ لَكَ بِهِ؛ إِلَّا عَلَى مَعْنَى الْأَمْرِ بِأَنْ يَفْهَمَهُ، وَيَفْقَهُهُ، ثُمَّ يَتَدَبَّرَهُ وَيَعْتَبِرَ بِهِ».

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِتَدَبُّرِ آيَاتِ كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَلَمْ يُفَرِّقْ، لَمْ يَقُلْ: إِنَّمَا أَمَرُ الْعُلَمَاءَ، وَلَا أَعْنِي سِوَاهُمْ؛ وَإِنَّمَا الْأَمْرُ لِلْجَمِيعِ.

اسْتَنْبَطَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَذَّبَرُوا﴾ ۞ وَجُوبَ مَعْرِفَةِ مَعَانِي الْقُرْآنِ.

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَدَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ ۞ عَلَى وَجُوبِ التَّدَبُّرِ فِي الْقُرْآنِ؛ لِيُعْرِفَ مَعْنَاهُ».

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: «وَهَذَا أَمْرٌ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ».

قَالَ أَبُو السُّعُودِ: «إِنْكَارٌ وَاسْتِقْبَاحٌ؛ لِعَدَمِ تَدَبُّرِهِمُ الْقُرْآنَ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ التَّأَمُّلِ فِيمَا فِيهِ مِنْ مُوجِبَاتِ الْإِيمَانِ».

وَقَالَ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» [محمد: ٢٤] عَلَى وَجُوبِ التَّدَبُّرِ لِلْقُرْآنِ؛ لِيُعْرِفَ مَعْنَاهُ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ لَوْ تَدَبَّرُوهُ حَقَّ تَدَبُّرِهِ؛ لَوَجَدُوهُ مُؤْتَلِفًا غَيْرَ مُخْتَلَفٍ، صَحِيحَ الْمَعْنَى، قَوِيَّ الْمَبَانِي، بِالْغَا فِي الْبَلَاغَةِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِهَا.

وَقَالَ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَتَدَبَّرَ الْكَلَامَ بَدُونِ فَهْمٍ مَعَانِيهِ لَا يُمَكِّنُ».

وَأَيْضًا؛ فَالْعَادَةُ تَمْنَعُ أَنْ يَقْرَأَ قَوْمٌ كِتَابًا فِي فَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ -كَالطَّبِّ وَالْحِسَابِ- وَلَا يَسْتَشْرِحُونَهُ -أَيُّ: يَطْلُبُونَ شَرْحَهُ-؛ فَكَيْفَ بِكَلَامِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ عِصْمَتُهُمْ، وَبِهِ نَجَاتُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ، وَقِيَامُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؟!».

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ لَمْ يُنَزَّلْهُ تَعَالَى إِلَّا لِيُفْهَمَهُ، وَيُعْلَمَ وَيُفْقَهُ؛ وَلِذَلِكَ خَاطَبَ بِهِ أُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ، وَالَّذِينَ يَعْلَمُونَ، وَالَّذِينَ يَفْقَهُونَ، وَالَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ».

وَمَعَ هَذِهِ الْكَثْرَةِ الْكَاثِرَةِ مِنَ النُّصُوصِ الْأَمْرَةِ بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي مَعَانِيهِ، وَإِمْعَانِ النَّظَرِ فِيهِ، وَالنَّاهِيَةِ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ النُّقُولِ الْوَارِدَةِ عَنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ فِي وُجُوبِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، مَعَ هَذَا كُلِّهِ؛ تَجِدُ غَالِبَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ قَدْ اِكْتَفَوْا بِالْفَاطِ يَرُدُّونَهَا، وَأَنْعَامَ يُلَحِّنُونَهَا فِي الْمَآتِمِ وَالْمَقَابِرِ وَالْأَدْوَارِ، وَبِمَصَاحِفَ يَحْمِلُونَهَا، أَوْ يُودِعُونَهَا تَرْكَةً فِي الْيُبُوتِ، وَنَسُوا أَوْ تَنَاسَوْا أَنَّ بَرَكَهَ الْقُرْآنِ الْعُظْمَى إِنَّمَا هِيَ فِي تَدَبُّرِ آيَاتِهِ، وَتَفْهَمِهَا، وَالتَّأَدُّبِ بِهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ أَوَامِرِهَا، وَالْبُعْدِ عَنْ نَوَاهِيهَا وَمَسَاطِطِهَا.

نَسْأَلُ اللَّهَ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - أَنْ يَفْتَحَ لَنَا فِي الْقُرْآنِ فَتْحًا مُبَارَكًا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا كَمَالَ وَجَمَالَ وَتَمَامَ وَدَوَامَ التَّدَبُّرِ لِآيَاتِهِ، وَالْفَقْهَ لِمَعَانِيهِ، إِنَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.



